مُـزيِّن النجـوم

التَّزيين أو التجميل فن ..

وهو فن قديم منذ أن عرف الإنســان كيف يغتسل ، وكيف يمشِّط شَعره ويهذب لحيتـه ، وكيف يشــذِّب أظافـره ويكحل عينيـه ويدْهن جلـده ، ثم يضع الأصبـاغ والمساحيق والعطور .. ولقد برع المصريون القـدماء ، رجالا ونساء ، فى هذا الفن إلى حـد بعيد ، ينافس ـ وقـد يتحـدى ـ مايبتكره أو يصنعـه خبراء وفنانو هذا المجـال اليوم(*).

وهو فن لا تستغنى عنه السينيما ، ليس فقط فى إبراز الجمال ، وإضافـة مسحة من نضارة أو إخفاء مساوىء وسـتْر عيوب ، وإنما أيضا فى محاولات ابتكار وإيهام : ابتكار ملامح معيَّنة للشخصية المطلوبة ، والإيهام بأنها حقيقيـة ومطابقة لموضوع الرواية فى السن ، والسمْـت ، والملامح ، والهيئة إن كـان بها جــروح أو كســور أو حروق أو بثور ... بمهـارة الماكيير (المزيِّن المجمِّل المشكِّل) بلمساته وأدواته يشيب الشــاب ، ويصبو العجـوز ، ويَعْبس وجه الوديع ، وينطمس قُبح الدميم . فهـو إذن فنان مبدع معبِّر .

« ميشيل دُورُويل» من الفنانين المشــاهير الكبـار فى هذا المجـال ؛ ليس فى بلده

(*) بعد سنتين من الدراسة والتجـربة ، نجح خبير عطور فرنسى ـ عام ١٩٩٨ ـ فى فك رموز بـرديات مصرية قديمة وصنع العطر الذى كانت تتطيب به الملكة كليوباترا .

فرنسا فقط ، وإنما على المستوى العالمى أيضا . وعنده أن الوجه – خاصة وجوه المشهورين من الرجال والنساء ـ بمثابة لوحته التى يُبدع عليها ويصيغ أفضل ما يطلب منه . عاصر نجوم العصر الزاهر للسينيما العالمية ، واختزن الكثير من الخبرات والأسرار والمواقف والحكايات ، فيها قَدر كبير من الطرافة ، وقَدر وفير من المعلومات عما يجرى ويدور خلف الكاميرا قبل الوقوف أمامها للتصوير . ثم كشف عن بعض ما يختزن فى كتابه : « أسرارٌ لجمال Secrets De Beauté » . وهذه مقتطفات تُلقى بعض الضوء ، وقد تُبهج وتفيد .

بداية .. هو لم يكن فنان تزيين وجوه (ماكياج) ، بل مهندس ديكور ، أى تزيين أماكن ومساحات . فما الذى حدث ؟ هل هو الحظ ؟ أم الصدفة ؟ أم القَدَر والنصيب؟.. فى فترة تفتح شبابه وفتوته ، كلِّف بتجديد ديكور مقصورة المسرح الخاصة بالنجمة الشهيرة آنذاك – فى الأربعينيات – إيفون برانتان ، فأكمل المهمة على أحسن وجه . لم يكن ميشيل قابلها قبل إتمام عمله ، لكنه التقى بها لأول مرة ليلة العرض الأول لمسرحيتها الجديدة « جانبا عند بروسْت » – ١٩٤٨– فتغير مجرَى حياته .

مهندس الديكور دورويل على مائدة إيفون برانتان التى وجَّهتْه إلى التفوق فى تزيين الوجوه (الماكياج)

كانت المقصورة المجـدَّدة والدهليز (الممر) المؤدى إليها مـزدحمان بكبار القوم والمشـاهير والمقـربين من المعجَبـات والمعجبين . انحشر ميشيل مع مصففـة شعـر نجمـة المسرح فى ركن من الصـالون الملحق بالمقصـورة . وإذا به فجـأة يلاحظ تضـاغط الحاضرين ليفسحوا مَعْبَرا للنجمـة ، فـدخلتْ فى بهاء ودلال ، فى زى أبيض فـاخر ، كـالأميرة أو الملكة تتلقى التحيـة والتهنئة والمشاعـر الحارة ، وكأنها تخطو فوق سحـاب . اهتز قلب ميشيل بسرعة وعنـف . لم يصدق عينيه . مـال برأسه إلى الأمـام بين الواقفين المشـدوهين ليتأملهـا عـن قُرب بعد أن صافحت بوُد زميلها فى بطولة المسرحية . استدارت لتتأمل بإعجاب الديكور الجديد ثم سألت :

– من الذى غيرِّ هذا المكان ؟ .. فأجابها صوت :

– ميشيل دورُويل .

فى اليـوم التـالى مبـاشرة كُلِّف ميشيل بتجـديد ديكورات قصرها الذى تقيم فيـه بباريس مع زوجهـا « بيير فرزْناى » ، على أن يقيم ميشيل فى غـرفة خـاصة بالقصر ليكون طوع أوامرها ورغباتها فى أثناء عمله .

كاد يطير من الفرحـة لسببين : لتقدير كفاءته وموهبته الشابة ، والأهم من ذلك ، أنه سيعايش الحياة اليومية لأشهر زوجين فى الوسط الفنى ، بل وفى كل باريس . فيا لها من تجربة !

لم يبخل ميشيل ببـذل أى جهـد ، وأى عمل لإرضـاء « النجمـة الأولى » . فكان ينتقى لها – مـع تخفيض الأسعـار !– أفضل الأقمشـة ، والألوان، والأدوات ، والمحسِّنات ؛ ويقـدم إليهـا الـزهور يوميّـا يشتريها من أجمل الأنواع ؛ ويتلقى فى غيبتها عن القصر مكالمات التليفون ؛ ويصغى إلى أحاديثهـا معه عن بعض شواغلها .. إنها خدمـات ولمسات كثيرة يؤديها ميشيل عن إعجاب وإكبار وطواعيـة ، صادرة من فنان مبدع مهذب . فكيف تشكر إيفون هذا الفتى الخدوم الرقيق ؟

عندما كان لديها متسع من الوقت ، وفى حالة مزاجية من الابتهاج والسرور ، فإنها كانت تغنى له مقطعا أو اثنين من أجمل أغانيها . فإذا كانت على قدر أكبر من السرور والبهجة ، سألتْه : « ماذا ترَغب فى سماعه من أغنياتى ؟ » .. فيطلب .. وتغنى !

هكذا نَعِم ميشيل بصحبة تلك الأسرة غيرالعادية : يتناول أحيانا الطعام مع الزوجين السعيدين ، أو الشاى فى حديقة القصر .فلما جاء الاستعداد لتصوير فيلم هى بطلته : « فالس باريس » ، سافرت قبيل بداية التصوير إلى شاطىء البحر لتخفف من وزنها ثمانية كيلو جرامات - كطلب المخرج - ولتعود أكثر نضارة، وكأنها استعادت ثمانية أعوام من عمرها ! ودائما كان معها ميشيل ، تستشيره الرأى ، وتكلفه ببعض المهام ، وتأْنس بصحبته ، وتقضى معه خمس ساعات عند مصمم الأزياء لاختيار الملابس المناسبة للفيلم !

ويَعْجب ميشيل من صبر مصمم الأزياء الشاب الذى لا يضيق بنقدها وملاحظاتها وترددها . لكنه لاحظ (أى ميشيل) أنه ترزى فنان ، وأحد المقربين إليها، تناديه بلقب « ملك روما » - كعادتها فى إطلاق أسماء وألقاب على المقربين - ولم يكن فى ذلك مبالغة ، فقد أصبح هذا الشاب فيما بعد واحدا من ملوك الأزياء العالميين : بيير كاردان !

فى ستديو التصوير ، كان ميشيل هو الشخص الوحيد الذى سُمح له - خارج مجموعة العمل - بحضور تصوير المشاهد ؛ واستثناء أيضا بحضور عمل ماكياج إيفون فى غرفة خاصة ملحقة بمقصورتها ، ولم يجد ميشيل حرجا فى إبداء بعض الملاحظات لماكييرتها « كارمن ». كانت ملاحظات صائبة . فصاحت إيفون مرة قائلة:

– من الغـــاء أن يُطلـب منك التخصص فى الديكور : صـــدِّقنى .. هنا (أى فى الماكياج) مجالك وتفتُّح موهبتك ! ..

كانت هذه النصيحة بمثابة الشرارة التى أشعلت حماس ميشيل ودلّته على معالم طريق سيحوِّل مسـار حياته بعد ذلك . وسريعـا جاء اليوم الذى شعر فيـه بأحزان الطفل الصغير الذى يترك بيتـه لأول يوم من أيام المدرسة . لقـد انتهت مهمته بقصر النعيم ، فكان عليـه أن يترك صحبة إيفـون وزوجهـا . كان حقّـا كالتلميـذ الصغير الوجِل . لكن النصيحة كـانت تدوِّى طنينا فى رأسه . فقرر الالتحـاق بدورة تدريبية عند « آرا » الماكيير السينيمائى المشهور فى كل باريس . لم يضيِّع وقتـا ، ولا جهدا . عمل ودرس وسـهـر واجتهـد ، ليلا ونهارا ، وقسَّـم وقته بين دراسـة فن الماكيـاج ، وأعمال الديكور التى يتكسب منها .

ثم جـاءت ضربة حظ أخرى : اختـاره الأستاذ المعلم – آرا – لصحبتـه مساعـدا للماكيـاج فى أثناء تصـوير فيلم فى منطقـة الكـوت دا زور السـاحليـة . وعن طريق صديق قديم ، التحق ميشيل بعمل ليلى فى ملهى قريب ، فى غير أوقات تصوير الفيلم. كانت فـرصة ذهبيـة لكى يتدرب عمليّا مع أستـاذه فى موقع التصـوير .فرضىَ عن طيب خـاطر تنظيف وترتيب الموائد التـى يضـع عليها أستـاذه أدواته ، وكان يرقبـه جيدا وهـو يعمل ويبدع فى فنه ، وفى المقـابل ، سُمح له بالبقاء داخل الاستـديو خلف الكاميرا فى أثناء التصـوير . فتعلم أشياء جـديدة عليه فى فن التصـوير السينيمائى ، مثل: كيفيـــة ومعنى حجم اللقطات وتأثيراتها ، كـــاللقطة العـامـة ، والمتـوسطة ، والمكبرة، والمقـربة جـدّا التى تتيح للمشـاهدين أن يتبينوا بوضـوح أدق المشـاعـر والانفعـالات التى ترتسم على وجـــوه – أو فى عيـون – الممثلين والممثـلات . وأحس بلحظات القلق التى تنتاب الماكيير عندما يدرك فى داخله أن عمله لم يكن جيدا متقَنا ، حين تبدو على وجـه النجم أو الممثل دلائل ذبول أو ضعف غير مطلوب أو مـرغوب . وفهِم ميشيل بواعث لهفة الماكيير الجيد ونظراته الحائرة المتوترة وهو يلصق عينيه

مـرارا بمنظار الكاميرا قبيل التصـوير ليتحقق من نتيجـة عمله على وجـوه الممثلين ،ويدعو من كل قلبه ألاَّ يدمر منسِّق الإضاءة ما أتقنه هو بأناة واجتهاد وصبر .

فى هذه المرحلة ، أدرك ميشيل ووعَـى جيـدا كيف أن العمـل السينيمائى هو – فى المقـام الأول – عمل جماعى . فأى فرد فى الفـريق لا يتقن تماما مـا هو مكلَّف به وفى وقته المناسب ، فإنه يفسد كل أعمال الآخرين . وفى أثناء التصوير ، لا يمكن أن يعمل فرد بمفرده أو على حِدَة بمعـزل عن بقية أعضاء الفريق . كما فطن ميشيل إلى العبء الضخم الملقَى على كتفى المخـرج الذى يقـود كل الفـريق ، ويوجّـه ، ويراقب ، ويلاحظ كل التفاصيل فى لحظة التصوير .

وسرعان ما تكيف ميشيل مع« روح » العمل بهذا الأسلوب ، ولهذا وجد قبولا من الجميع وإقبالا على صحبته ، فتضاعفت بهجتـه وسعادته النفسية ، إذ أحس بقيمة أنه عضـو متـآلـف ومـرغـوب من أسرة كبيرة ، لكلٍّ فيها دور يؤديه ،وفن يُبدعه أو يُتقنه. وعندما أقيم حفل « مـائدة ختام تصـوير الفيلم » ، كان مقتنعا تمامـا بسداد رأى « إيفون برانتان » .. وأنه – بلا ريْب – وجد طريقه الصحيح!..

فى العام التالى – ١٩٥٥ – ارتبط ميشيل – وهو ما زال بصحبة أستاذه بيير آرا – بالعمل فى فيلم أمريكى : « ابنة السفير » . وهكذا ، بلا تمهيـد ، يواجه الماكيير الشاب طوفان الإنتـاج الهوليوودى . غَمره مـزيج من الرهبة والفرحـة . إن العمل باستديو «باتيـه » السينيمائى فى باريس كـان حلم صبـاه . ها هو يتحقق فى الاستـديو ذاته ولكن مع طـاقم أمـريكى . أدهشـه بحق أن العمل السينيمائـى الأمـريكى يتسم بالانضباط الشـديد إلى درجة الصرامة . والممثلون الأمريكيـون ليسوا أبدا فى تسيب وبذاءة أو وقـاحـة الفـرنسيين (هـذا تعبيره بالنص : désinvolture) . إنهم – الأمـريكون – يحرصون على التـدقيق الشـديد إلى حد الـوسوسـة ، مع احترام بالغ للقواعد والنظُم ، وتقدير كل عمل مهما كان بسيطا .

كـان تصوير هذا الفيلم فـرصة كبيرة للماكيير الناشىء أن يشـارك فيه بتـزيين وجه ممثلة شهيرة فى عالم السينيما : « أوليفيا دو هافيـلاند ». لم يبْخل عليه أستاذه بهذا الفوز ، فهو يحبه ويثق به ، ويتيح له بين الحين والحين مجالا لتحمل المسئولية والاطمئنان إلى كفاءته الذاتية . وفى يوم من أيام التصوير ، فوجىء ميشيل بالمخرج يصرخ فى الاستديو غـاضبا : فـالممثلة الكبيرة – أوليفيا– لايبـدو على وجهها التأثر والانفعـالات المطلوبة ، خاصـة عند البكاء . وهذا لا يتناسب مع المشهـد الذى تدخل فيه حلبة المنافسة مع مشتركـات فى مسابقة للجمال ، فهى تخشى الفشل ، لذا تبكى بحرقة تدنو من اليأس . فماذا يفعل ميشيل ومعلمـه الأستاذ غيرحاضر بالاستديو ؟ إنه لم يتعلم مـن « آرا » كيف يصنع فى مثل هـذا الموقف . ولكن .. لا مفـــر . وضع بحرص شـديد مادة مهيجـة للدموع فى عين الممثلة ، فـانسالت بغـزارة تحمل معها مادة التزيين المظلِّلة (ماسكارا) ، فصبغت الدمـوع باللون الأسود ، وتلطخ الوجه ، وانقلب غضب المخـرج إلى ضحك ساخـر ، وتحوّل الصراخ إلى النجمة التى أسرعـوا بها إلى القسم الطبى ! ..

ميشيل يزين وجه النجمة الأمريكية «أوليفيا دو هافيلاند » – ١٩٥٠ .

بعـد سنوات قليلـة ، ازداد فيهـا خبرة وتمكنا من عمله ، أصبـح ميشيل رئيسـا لقسم الماكيـاج بالاستديـو . وتتابعث الأفـلام تفتح له مسـالك واسعـة مُغْدِقـة من النجاح والكسب والشهرة . كما أصبح له أيضـا أسلوبه المتميز فى التزيين إلى أن جاء يوم ظل عالقا بذاكرته لاينساه .

أخبروه بوصول « الوَحْـش المرعب » : أُورْسون ولْز ، الذى لم يكن وقَّع بعـد عقد بطولة فيلم : « شَرْخ فى المرآة » . قال منتج الفيلم داريل زانوك :

– كن حـذرا يا ميشيل . فلسـوف ترى أن السيـد « ولْز » سيحـاول اتخاذ عـدم رضائه عن الماكياج ذريعة لرفضه التعاقد على بطولة الفيلم .

أورسون ولْـز مع زوجته ريتا هيوَرث فى فيلم :
« سيدة من شنغهاى ـ ١٩٤٨ » .

كان معـروفا بين الجميع فى الاستديو أن عملاق الشـاشة – ولْز – غير متحمس لأداء دور البطولـة فى هذا الفيلم الذى يتمثـل فى شخصيـة محامٍ مشهـور وبنّاء معمارى إيطالى معا (شخصية مـزدوجة) . ولكى يُخفى ميشيل مخاوفه التى بدتْ فى رعشة خفيفة بيـده ، جهز أدواته والمواد التى كان عليه أن يستخـدمها وواراها فى ركن من غـرفـة الماكياج . وفجأة انفتـح الباب ، وإذا بجسم العمـلاق يسـد المدخل بأكمله ، ثم دَمْـدم بصوت مهيب ناطقـا بالفرنسيـة : « صباح الخير » .. فلما انسلخ من فتحة البـاب ، تقدم نحو الماكيير المرتعـد ، وخاطبه بكلمات مُقْتَضَبة مستخـدما صيغة المخاطَب المفرد (TU) كنوع من الأُلفة ، مع ابتسامـة خفيفة لا تُخفى قدْرا من التهكم والامتعاض . ثم فتح حقيبـة معدنيـة صغيرة كان يحملها ، وأخـرج منها أدواته هو الخاصة بالماكياج . لم يكن هذا غريبا على ميشيل فقد تعوَّد أن يأتيه بعض النجوم والممثلين ومعهم أدوات مـاكياجهم والمسـاحيق والأصباغ التى يظنون أنها الأفضل والأنسب لهم ، وينتهى بهم الأمـر إلى الاقتناع برأى ميشيل (الذى يبـديه بأناة وديبلوماسية) ويبيِّن لهم أن ظنونهم غير صحيحة .

لكن مع أورسـون ولْز لا مجال للمناقشـة أو الإقناع .. بعد أن شرب كأسـا كبيرة من الفـودكا ، جلس مسترخيا على مقعـد الماكياج الوثير أمـام المرآة وهو يهدد بتلك الكلمات الموجَزة المتحدية : « والآن ... أرِنا مهارتك ! » . ثم غاص على الفور فى نـوم عميق !

كـان قادمـا لتوِّه من الصين ، وكـانت الرحلة مـرهقة أنْهكت قـوَّته . بينما انهمك ميشيل فى العمل بلا تردد وقـد زال عنه الـوَجَل . وخلف البـاب المغلق ، وقف زانوك لاصقـا أُذنه بالبـاب يسترق السمع ليعـرف ما يجرى ومـا يقـول النجم العمـلاق المتأفف . لم يسمع شيئا ؛ فالصمت مطْبق ! لم يطقْ صبرا ، ففتح بهدوء شديد فرجة من الباب ، وإذا به يفاجأ « بالوحْش» مستغـرقا فى نوم له غطيط ! فاقترب هامسا فى

أُذن ميشيل : «إذا نجحتَ فى هذه المهمة ، فسوف نعطيك كل ما تطلب .. ونصحبك معنا أيضا إلى لوس أنجلس ! » .

لم يُعِره ميشيل التفاتا ، وكأنه لم يسمع كلماته . كان غارقا فى مخاوفه ، ومركزا ذهنه كله فى عمله . وبمجرد أن فرغ من لمساته الأخيرة ، تحرك جفْنا ولْز ، وفتح عينيه ، ثم حَمْلق فى المرآة . إن صورته تحمل أنْفا جديدا وتجاعيد إضافية ، تماما كالمطلوب . ثم عاد ينظر متفحصا مرة أخرى مقتربا من المرآة ، ويطيل التأمل . وفى داخل ميشيل ، نما إحساس بأن النجم الكبير على وشك تفجير معركة . وفجأة ، تحدث المعجزة : تناول أورسون ولْز سيجارا ضخما أشعله فى هدوء دون نظر إلى ميشيل ثم قال بصوت خفيض واثق ، كلمة واحدة : « حسنا ! .. O.K» ! . وهذه الـ « O.K » هى التى فتحت لميشيل أبواب هوليوود الضخمة ! وفيما بعد ، علم ميشيل من أُورسون ولْز أن هذا النجم العالمى الكبير بدأ مثله طريقه الفنى السينيمائى كماكيير لفرقة مسرحية متجولة ، وأنه دُهش بحق لمهارة ميشيل وكفاءته الممتازة .

من الآن فصاعدا ، صار هذا الذى حظى بحماية ورعاية داريل زانوك شخصية مرموقة ، تُفتح له كل الأبواب ، ورغائبه على الفور تُجاب . ومن أمريكا تُرسل إليه كل أدوات ومستلزمات الماكياج التى تستخدم على أعلى مستوى فى هوليوود . وفى واقع الأمر ، لم يستغل ذلك التعالى والزهو فى نزوات طائشة . وإنما ازداد جهدا وحرصا على تحسين أسلوبه وكفاءته ، وفى تطوير مواد التزيين الفنية الفرنسية ، وعكف بجد وصبر على دراسة كيمياء هذه المواد المرسلة إليه ، فكان يقضى ليالٍ بأكملها فى جراج بيته : يبحث ، ويجرِّب ، ويبتكر . وكم قاسَى فى ليالى الشتاء من برد ، ومن تجمد المواد، فكانت تتحول إلى كتل صخرية ! ثم واتتْه فكرة مدهشة : أن يُنتج مواد مبتكرة من تأليفه هو تحمل اسمه .. وقد كان !

وتمضى السنون .. وعندما احتفل بعيد ميلاده الخامس والثلاثين ، كانت

شهـرته معـروفة ومقـدَّرة فى كل ستـديوهات السينيما العـالميـة. ولم يركن إلى هذا ويكتفِ ، بل دأبَ – كعـادته – على التحسين والتجـديـد . فعندمـا يصبح العـاقل الطمَّـوح فى المقدمـة ، لابد له من خطوة أخـرى دائما ، محافظة على قيمته ، وتثبيتـا لموقعه .

ولكن .. مُحال أن تستمر الحياة وردية هانئـة على الدوام . مثلا : بذل جهدا كبيرا فى فيلم « ماركـو بولو » وكان يأمل مـن ورائه تحقيق خطوة متقدمـة ، لكن الفيلم لم يُعرض قط !.. وفى ذلك الوقت ، توثقت علاقته بشاب ناشىء ، سوف يكون صديقا ، وذا شأن كبير : آلان ديلون . (نجم السينيما الفـرنسيـة فى الربع الأخير من القـرن العشرين).

عمر الشريف

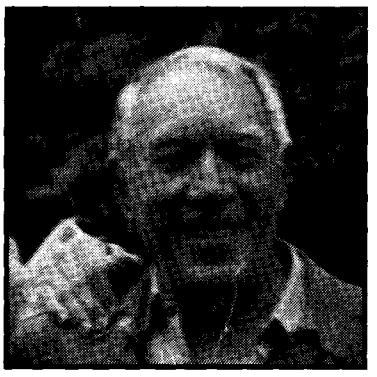

أنطونى كويـن

آلان ديلـون

جريجـورى بـك

ثم أتيحت له فرصة – مع تعاقب عمله بالأفلام الفرنسية والعالمية – أن يزين وجه النجم الأمريكى « جريجورى بك » ، ثم « أنطونى كوين» ، والمصرى « عمر الشريف» فى فيلم : « تأمَّل حصانا شاحبا» . وتوثقت صداقته مع« جان كلود بريلى » أثناء تصوير فيلم: « صيد الإنسان » ، ومع « بول نيومان » و « صوفيا لورين » فى فيلم : «السيد ل » . وسقط فى مستنقع نفايات بارد كالجليد أثناء تصوير فيلم : «هل تحترق باريس ؟».. فعلم يقينا أن الماكيير الذى يعمل فى فيلم حربى كبير بهذا الحجم ، يشعر وكأنه يعيش بالفعل حياة جندى محارب ، أو يشترك فى مغامرة خطرة .

ثم يشكر الله أن ساق إليه مرة أخرى « الوحش المبجل » : أورسون ولْز أثناء تصوير فيلم بالصحراء ، فكان يأنس إليه ويحدثه طويلا – وميشيل مُصْغيا – عن مغامراته ،وأفكاره ، وابتكاراته السينيمائية ، وعن أيام صباه . ويكتشف ميشيل أنه قلما يجد من النجوم اللوامع مَن لا يأنسون إليه ، فيتبسطون فى الحديث معه

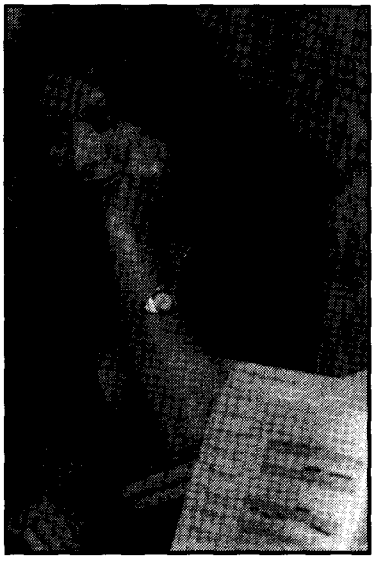

صوفيا لورين

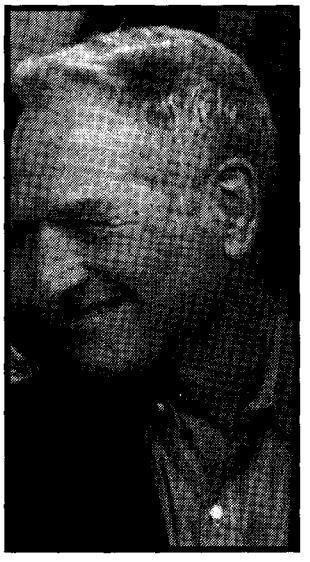

بول نيومان

بتلقائية وعلى السجية، مُفْرغا أحدهم نفسه من رياء أو مِراء وهوًى . إنهم فى كثير من أوقاتهم – خارج العمل – يعيشون فى عزلة مفروضة باردة ، وغالبا ماتعتصرهم شواغل التفوق والنجاح ، وتحاصرهم مقتضيات الظهور بسمْت لائق بمكانتهم فى المجتمع ، وكأنهم من غير البشر ! ..

ويذكُر ميشيل ما كان بينه وبين المخرج الفرنسى المعروف « كلود لولوش » . ذات يوم ، نصحتْ الممثلة الفرنسية « آنى جيراردو » لولوش أن يستعين بميشيل فى عمل الماكياج . لكن المخرج العنيد ، كان لا يُلقى بالا إلى الماكياج ، ويسفِّه عمل القائمين به. فلم يكن يرى ضرورة فى الاستعانة بماكيير كبير متخصص فى تصوير فيلمه « الحياة للحياة » ، ولكن نزولا على رغبة « آنى » و إرضاء لها ، وافق لولوش .

كان على ميشيل أن يحقق نجاحين معا : إقناع المخرج إقناعا كاملا بقيمة عمله كعنصر رئيسى فى الفن السينيمائى ، نظريا وعمليا . ومن لولوش تعلم ميشيل

« آنى جيراردو »

أشياء ، منها : أسلوبه السريع الإيقاع مع الكاميرا المتنقلة ، بما يشْبه أسلوب التحقيق (الريبورتاج) المصوَّر . وشاهد لأول مرة تسجيل الموسيقى متزامنة مع تصوير المشاهد . وأُعجب بطريقة لولوش فى الإخراج التى تتيح للممثلين حرية أكبر فى الحركة الطبيعية ، وتخفف من صرامة الجو العام داخل الاستوديو أثناء الأداء . وكانا يتبادلان الرأى فيما تم من العمل اليومى . فكانت بداية لعلاقة وثيقة طيبة مع مخرج كبير لمس فيه الإخلاص الشديد للعمل ، وسلامة صدر نادرة . ولم يكتف لولوش بأن يتولى ميشيل عمل الماكياج فى فيلمه التالى « حياة بأكملها » ، وإنما عهد إليه أيضا بتصميم الأزياء المناسبة للأجزاء التاريخية بالفيلم . فكانت فرحة كبيرة لميشيل ، دفعتْه إلى الاستغراق الكامل فى العمل ، وراح ينقِّب بشغف فى المراجع التاريخية والفنية ، وأصبح يُستشار فى أمور يسأله عنها الممثلين والممثلات خارج نطاق الماكياج ، فيعطى رأيه بصراحة وصدق ، ويختار لهم المناسب من الحلىّ والمزيِّنات .

فى ليلة،وكان عائدا إلى بيته بعد عمل يوم شاق ، تلقى بمجرد دخوله مكالمة تليفونية راجية منه أن يتوجه فورا إلى ستديو سان مورتز ، ولم يكن له عمل فيه مرتب من قبل . والسبب : أن إليزابيث تيلور (نجمة السينيما الأمريكية) غاضبة ثائرة . لماذا؟.. كانت تصور مشاهد من فيلم « الممثلون » ومعها زوجها النجم الكبير ريتشارد بيرتون. وبينما كان الماكيير الخاص بها (القادم معها من أمريكا) يمارس عمله الفنى فوق وجهها قبيل التصوير ، إذ بدتْ منه كلمة عتاب رقيقة أثارت ثائرة النجمة. قال:

– أنتِ كريمة مع كل الناس إلا معى ! .. ثم أخرج لسانه ، ربما عن غير قصد .. فانفجرت إليزابيث هادرة صاخبة ، ثم قالت :

– حسنا !.. سأكون اليوم أكثر سخاء ..

ثم وقَّعت شيكا بمبلغ كبير ، وقدمتْه إليه قائلة :

– خذ هذا ، وادفع منه ثمن تذكرة عودتك إلى لوس أنجلس ، ولا تُرينى وجهك بعد ذلك أبدا ...

فكان لابد من استحضار ماكيير بديل على وجه السرعة . وعلى الرغم من أن ميشيل أصبح لا يهاب التردد على مقصورات النجوم الكبار بالاستديوهات العالمية واعتاد ذلك مرارا ، إلا أنه فوجىء تماما ودُهش مما أُعد لهذه النجمة غير العادية من تجهيزات وتيسيرات داخل الاستديو : اتساع وبذخ وفخامة غير مألوفة . إنه جناح خاص كبير وليس مقصورة محدودة: غرفة للملابس ، وغرفة لعمل الماكياج ، وصالون للاستقبال ، وملحق به استراحة ، ومطبخ خاص ، وحمام فسيح فاخر متكامل ، وسبعة عشر شخصا (من رجال ونساء لخدمتها وزوجها ، من بينهم السكرتير الخاص ، وسكرتيرة للسكرتير الخاص)!.. كل ذلك داخل الاستديو . وعلم ميشيل ما لم يكن يعلم : أن السيدة تيلور – الأسطورة فى رأيه – تسافر ومعها خمس وعشرون حقيبة سفر كبيرة ، ومائة « باروكة » ، ومائتى فستان ، ومجموعة من كلابها ! ونظامها الثابت اليومى يتضمن تقديم الشراب لها ولبيرتون فى ساعات محددة، يقدَّم فى كل منها نوع معين من المشروبات ، وبالتالى لكل المرافقين لها والمحيطين بها . ولما كانت الثلاجة الكبيرة بالمطبخ الخاص الملحق بجناحها لا تفى بكميات الثلج المطلوبة لكل ساعة ، فقد خصص لها الاستديو مساعدة ، مهمتها فقط: إعداد الثلج لكل شراب طوال الليل والنهار !

بدأ اللقاء معها مقبولا ميسَّرا . ولما علمت أن ميشيل يصنع أدواته ومساحيقه وأصباغه بنفسه وأعجبتْها أنواعها ، طلبتْ على الفور أن يُعد لها مائتى فرشاة ماكياج ، وخمسين قلم أحمر شفاه ، وخمسا وعشرين علبة كبيرة من دهان (كريم) أساس للوجه.. وأسرَّ إليه سكرتيرها الخاص أن الشىء الذى يعجبها، ولو كان

بسيطا ، تطلب منه كميات ضخمة . لم يستغرق عمل الماكياج لها وقتا طويلا ، لأن وجهها من الوجوه السهلة التزيين ؛ ولون حدقتى عينيها البنفسجيتين يجذب بطبيعته على الفور انتباه الناظر إليها . وبعد أن فرغ من عمله ، تأملتْ وجهها طويلا فى المرآة ، ولم تنطق بكلمة . وتلك عادتها إذا كانت راضية ، والويل للماكيير إذا نطقتْ وتكلمتْ !

كان ميشيل سعيدا بالعمل مع هذه النجمةالسينيمائية الكبيرة ، مسرورا من كرمها ، ونزواتها ، وحسْن معاملتها له ، التى ذكَّرتْه بأيام الشباب وتعامله مع

إليزابيث تيلور وريتشارد بيرتون

إيفـون برنتان . وعندمـا أهدى إليها ريتشـارد بيرتون اللؤلؤة الثمينة الشهيرة التى أهداها يومـا الملك لويس الرابع عشر إلى مـارى ما نشينـى ، تناولتها إليـزابيث كأى شىء عـادى بسيط ، ولم تحرص على وضعها فى خـزانتها الخاصة (وهـى تساوى مـلايين الدولارات) . بعد أيام قـلائل ، سَرَى همس فى الاستـديو بأن اللؤلؤة الثمينة ضـــاعت .. اختفت !.. وكـــانت تسمى « الكمثـــرى » ، لأنها فى شكل وحجم ثمـــرة الكمثرى الصغيرة .

أسرع كل العـاملين فى خـدمتها - مـذعـورين - بالبحث والتفتيش : الفسـاتين تتطاير فى الهواء ؛ الأدراج تصطك وتفرغ على الأرض من كل محتـوياتها ؛ السجاجيد تُرفع ؛ الأثاث يُبعثَر ؛ علب الماكياج تُفحـص .. كل ذلك ولا أثر « للكمثرى » .. شارك ميشيل فى حملة البحث المحمومـة . وفجأة ، لمح أحد كلابها الصغيرة اليـوركشارير يقبع ساكنا بين الموكيت الأبيض المطوى بسبب البحث العشـوائى ، واللؤلؤة فى فمه بين أسنانه !!.. اقترب من الكلب بكل الحذر والاحتراس الوجِـل - خوفـا من ابتـلاع الكلب للجوهرة الثمينة - ثم مد يده برفق وانتزعها . ومن عجب أن الكلب ظل ساكنا لم يتحرك ، وكأنه تمثال من الصـخر ! ولم يعلم بيرتون مطلقا بتلك الواقعة .

ذات مـرة ، بينما كان ميشيل يثـرثر مع سكرتيرة سكرتير النجمة المدلَّلة ، وجـو المطبخ هادىء مكيف ، وإذا بفرقعة شديدة تنطلق ، انخلع لها قلب الماكيير المسكين ! إلا أن السكرتيرة طمأنتْه حين سألها عن مصدر الصوت . قالت مؤكدة:

- لا تنزعج ، إنها ليز (إليـزابيث) قذفت بحـذائها إلى شاشـة التليفزيون . وهذا يحدث أحيانا عندما تتناقش غاضبة مع بيرتون !

بعد انتهاء التصوير ، كان الوداع مؤثرا . قالت إليزابيث :

- موشيل (هكذا كانت تنطق اسمه) .. سوف أفتقدك !

- وأنا كذلك يا ليز .

لقد أثرت فى نفسه كثيرا تلك النجمة المتفجرة . كانت كريمة فى سخاء ، سريعة التقلب بلا حذر ، لكنها حاسمة الرأى نافذة القرار . وقرر ميشيل مصاحبتها حتى المطار . وفجأة ، لاحظ أن الزوجين لا يحملان معهما أية حقيبة . هل نسيا ؟.. انتابه القلق ، سأل سائق سيارتها (الخاص أيضا القادم معها من أمريكا) . فدُهش السائق من سؤاله ، وكانت دهشة ميشيل أكبر حين أجابه (السائق) فى ثقة وكبرياء:

– إن « المدام » لا تشغل نفسها بأية أمتعة ، مطلقا ، ولا حقائب ، ولا حتى بصندوق مجوهراتها . كل ذلك حملتْه الطائرة السابقة على رحلتها مع بعض الحاشية!...

إن ميشيل يحب الباليه والأوبرا ، شَغوف بهما إلى حد الجنون ! لذا كان فى ذِروة السعادة حين طُلب للعمل مع نجم الباليه اللامع « نوريف » الأسطورى الفذ (هرب من روسيا وأقام فى فرنسا فى بذخ وشهرة الملوك) .

نوريف ـ نجم الباليه ـ ومارجو فونتين

إنه معروف فى المسارح والاستديوهات بالدقة البالغة ، والنظام الصارم الدقيق الذى يُرعب المنتجين والمخرجين وكل الراقصات والمشتركين معه ، وأيضا الإعلاميين والصحافة .كان معه « مارجو فونتين »، و « كارلا فرانشى » . لكن ميشيل اكتشف أن هذا النجم العملاق المرعب ، على قدر كبير من الفكاهة والمرح خارج نطاق العمل . ولاحظ أنه يهوَى إيقاع راقصة الباليه الشابة الحسناء كارلا فى مواقف محيرة مُربكة. ثم أدرك أن هذه المداعبات الصبيانية يمارسها نوريف للتخفيف من حدة التوتر المستمر والإرهاق الشديد، وهما إطار حياته – وحياة بطلاته أو باليريناته – على الدوام .

أُعجب ميشيل بنظام نوريف الحديدى الحازم ، وبشجاعته الفائقة ، وبأنه – وكذلك المشتركين والمشتركات معه – يتمتعون بقدر كبير من التواضع وسمو النفس، وقَلَّ رؤية ذلك عند كثير من النجوم والممثلين والممثلات فى مجالات الفنون المختلفة . ومع ذلك ، فإن بعضهم يدفع الثمن غاليا .

فى ليلة ، بعد تقديم باليه « جيزيل » ، كان العرض رائعا ، استحق أن يقف الجمهور ساعة كاملة ، نعم ساعة بأكملها يصفق ويحيِّى النجوم والراقصين والراقصات ، والستارة تُفتح وتُقفل عدة مرات ، يصطف خلفها المبدعون ، تُصوَّب إليهم « مقذوفات » المعجبين والمعجبات من ورد وزهور . وخلف المسرح (فى الكواليس) ذُعر ميشيل وهو يراقب النجوم وهم يخلعون أحذية الرقص : الأقدام متورمة ، يسيل من بعضها الدم !.. ضحكت الباليرينا « نويل بونْتوا » ،وقالت فى ثبات وثقة :

– لا تَعجب يا ميشيل .. فهذه ضريبة النجاح !

– من فضلك : هل تسمحين بإهدائى فَرْدة من حذائك المخضب بالدم أعلِّقها فى مكتبى ؟ إنها ستذكِّرنى دائما بالثمن الذى يجب أن يُدفع مقابل الوصول إلى القمة فى الفن !

فى أثناء تصوير فيلم : « عشيرة الصقليين » ، استمال ميشيل إليه عملاقا مبجلا آخر: جان جابان . انزعج مخرج الفيلم حين علم أن جابان – الذى ترتعد منه الماكيرة المخصصة له – رفض بإصرار ، غبتها فى تغيير مواد الماكياج التى يستخدمها منذ سنين، وهى مواد لا تخفف من احمرار وجهه ، بل على العكس !.. ولون الأساس فيها طوبى ، إذا وُضع فوق جلد جابان الجاف المجعد ، مع شعره الأبيض الناصع ، اكتسب لون الطين المتيبس . وعلى الرغم من النقد الذى وجِّه إلى هذه المواد والمساحيق ، فإن جابان لم يكترث ، وأجاب بأن الإضاءة بتأثيراتها الخاصة ستؤدى النتيجة المطلوبة . وبذل الفنيون محاولات بهلوانية لإرضائه ؛ فلما جاءت فى المساء عينات من اللقطات التى تم تصويرها فى الصباح على نحو ما أراد ، ظهرتْ سيئة مروِّعة ! كان وجهه فى لون الطماطم !.. فاقترح المخرج بكل ، قة وحذر على جابان أن يجرب مع ميشيل ما قد يكون مناسبا ، فقبِل جابان على مَضض .

ما إنْ دخل ميشيل مقصورة النجم الضخم المُهاب ، حتى بادره بلهجة حازمة باردة :

– إنى أحذّرك يا سيد .. وأحب أن تعرف أننى لا أرغب فى تغيير المواد التى أستخدمها . ولذ أ، يد أن أعرف ماذا ستفعل فيها ؟

– سأخلط لون الأساس عندك بلون أخضر صافٍ .

– بأخضر ؟!.. بأخضر ؟! ..

جلس فى سكو ن بارد ، وكأنه لا يبالى ، تاركا لميشيل فرصة للعمل . فأحس ميشيل أنه يزين وجه تمثال : لا حركة ، ولا كلمة ، ولا حتى اهتزازة من رموش الجفن ، أو طرفة عين ولو بالرفض . فلما فرغ من عمل الماكياج ، عاد جان إلى الاستديو لتصو ير لقاطات تجريبية ، فأرسلها المخرج فورا إلى المعمل كسبا للوقت .

فى المساء ، أعادها المعمل للمشاهدة وإبداء الرأى ، ويعترف ميشيل بأنه كاد يموت من القلق والخوف من سوء النتيجة ، وما سيتْبع ذلك من تهكم ونقد لاذع . وما إن بدأ وجه جابان الجديد يظهر على الشاشة ، حتى سَرَتْ بين جميع الحاضرين موجة من الارتياح وهمهمة تدل على الرضا ،وصاح المنتج :

– إنه ليس جيدا وحسْب ، بل ممتاز جدا !

أما جان جابان العجوز الأريب العجيب ، فلم ينطق بكلمة . وقف متباطئا ، ثم اتجه نحو مقعد ميشيل ، ومد يده إليه قائلا :

– يا سيد .. إنى أحترم أولئك الذين يعرفون جيدا عملهم !

فصارت صداقة متبادلة مع هذا « الغول » السينيمائى . وظل جابان يفضِّل ميشيل فى عمل الماكياج على غيره ، ويستدعيه أحيانا فى المواقف الصعبة بالاستديو فى أثناء تصوير أفلام لا يعمل بها ميشيل ، فيلبِّى رغباته بلا مقابل .

مع الأيام تجاوزتْ شهرة ميشيل مجال السينيما والاستديوهات ، إلى قصور وبيوت « الكبار » من نجوم المجتمع فى فرنسا وخارجها ، كلما سمعوا عن هذا « الساحر » الذى يُضْفى على الوجوه نضارة وحُسن بهاء ، وجمال إشراقة فاتنة ! فأصبح يُستدعَى من عواصم شتى ، فينزل ضيفا على كبار الشخصيات الرسمية وغيرالرسمية فى بلاد مختلفة ...

فى يوم صائف لطيف من شهر يونيو ، وكان يروى زهور الأوركيد التى يزرعها ويرعاها فى حديقة بيته ، دق جرس التليفون .قالت المتكلمة :

– كلفتْنى شخصية مهمة بالاتصال بك . هل ستكون فى باريس الأسبوع القادم؟

– نعم يا سيدتى .

– إذن ، سأفصح لك عن تلك الشخصية .. إنها صاحبة الجلالة إمبراطورة إيران، وأنا عمتها .

بعد أيام قلائل ، توجه ميشيل إلى قصر قريب من حديقة « منْسو » – فى باريس – وهو يحمل صندوقا ثقيلا مليئا بكل ما يلزم من أدوات ومواد ومساحيق التزيين ، وكلها رفيعة المستوى . كان يشغل ذهنه طوال الطريق سؤال محيِّر : ماذا سوف يحدث؟ وكيف ستكون النتيجة ؟

لم يكن يتوقع بعد دخول القصر – أيام حكم الشاه – أنه سيمر على هذا الحشد من رجال الأمن والحراسة : عند الأسوار ، وفى الحديقة ، فى المدخل ، فى الممرات والدهاليز .. وفى كل ركن ومكان !.. وتلك الفخامة الهائلة فى الزخارف ،والأثاث ،

فرح إمبراطورة وإمبراطور إيران سابقا

والستائر ، والتحف ، والنجف ، والسجاد ، واللوحات .. شىء مبهر أنساه طول الانتظار . ثم أقبلتْ سيدة رشيقة أنيقة ، أخبرتْه أن صاحبة الجلالة تريد رؤيته . وقادتْه إلى صالون صغير تُجَمِّل أثاثه قطيفة زرقاء . تقدمتْ الإمبراطورة فى بساطة

ودلال حـــوريات الأســـاطير ، طويلة رفيعـــة ، أجمل كثيرا ممـا رآها فى الصـــور والتسجيلات المرئية. قالت فى بشاشة مهذبة :

– إننى سعيدة يا سيـد دورُويل بمعرفتك . لقـد امتدحَتْ صديقـات لى مهارتك ، وقد سرنى كثيرا أنك استطعت أن تأتى .

فى الحق ، كان ميشيل – كما قال – هو الغـارق فى السعادة والسرور ، خاصة مع هذا الاستقبـال اللطيف الـرقيق . وأعجبـه أن كل شىء حـولـه ينُم عن فطنة وذوق رفيع. شرحت له الإمبراطورة أنها ستتنـاول طعـام الغـداء فى قصر الإليـزيه (قصر الرئاســة الفرنسية) فى حفل رسمى ، ولـذا كانت رغبتها أن يكون الماكيـاج ممتازا . فطلب ميشيل أن يرى الثـوب (الفستـان) الـذى أعـدتْه للمناسبـة ، والمجـوهرات المصاحبة له . ثم تأمَّل المكان لاختيار موقع جلوسه لممارسة عمله . يقول فى كتابه :

– لم أجد شيئا مناسبا مـرتفعا أضع فوقه أدواتى ، فكل المناضـد منخفضة . ما العمل؟.. اهتـديتُ بسرعة إلى حل : لكى أؤدى عملى جيـدا ، فلا مفـر من وضع المواد والأدوات على منضدة من هذه ، وأجلس على ركبتىّ . هكـذا بدأتُ أزين الوجه الجميل الشـهير ، وإذا بى أسمع صوتا من خلفى يصيح متعجبا :

– ما هذا ؟ أَرَجُل عند قدمىْ زوجتى ؟ !

فى أقل من ثانيتين كنت واقفا منتصبـا . واستدرت منحنيا وأنا أُجيب فى اضطراب وبدون تفكير :

– أنْ يكون المرء عند قدمىْ جلالتها فهذا امتياز كبير !

– أنت مُحق .. وأنا كـذلك عند قـدميهـا ! واصلْ عملك جيـدا .. لن أُزعجك .. زَيِّن حُسْنها ، ولكن لا تغيِّر شيئا .. فأنا أحبها كما هى !

كـان هذا أول لقـاء مع إمبراطور إيران ... وأُعجبت الإمبراطورة بماكيـاج ميشيل دورويل . وبمجرد عودتها إلى طهران أرسلتْ تدعوه لزيارة إيران ، ولاستشارته فيما يتعلق بزينتها . فـاستقبلتْه بحرارة ، ونزل فى ضيافتها مكرَّما لمدة أسبوع ، زار فيه

الرئيس السادات والشاه السابق

كثيرا من المعالم والمواقع الشهيرة ، وشَعَر – كما قال – كأنه « وزير » فى رحلة الأحلام . وعندما طُرد الشاه من بلده وأقام مع أسرته ضيفا على الرئيس أنور السادات فى القاهرة ، طار ميشيل إلى مصر ليقدم تحيته للإمبراطورة فى تلك الظروف الصعبة . فكانت مفاجأة لفرح ديبا ، وصارحته بأن القليلين جدّا فعلوا مثله ، وأن هذه هى أحوال الناس فى الحياة .. وفى الأزمات ! . وقد ذكر ميشيل إعجابه بشجاعتها وثباتها، وبصمودها المدهش فى هذا الموقف المؤلم العصيب .

ثم يحكى عن مواقف كثيرة متنوعة من خلال عمله مع وجوه شخصيات ونجوم وممثلين من بلاد شتى ، كلٌّ حسب موقعه ودوره الذى يؤديه ، من بينهم : رومى شنيْدر (ومأساتها النفسية قبل موتها) ، مارشيللو ماسترويانى ، صوفيا لورين ، فاليرى كابر نسكى ، جيرار دوبارديو .... ثم يقول :

« عندما أنظر ورائى ، أرى أن الزمن مضى سريعا ، لأنه مع كل لقاء جديد ، كان لابد لى من نسيان – مؤقت – للوجه الذى سبقه . لقد أقمتُ حياتى المهنية على أساس متين من المشاعر والأحاسيس ، وإزاء كل وجه أمامى ، كنت أتناسى كل شىء ، إلا فقط ما كان مطلوبا منى عمله لهذا الوجه ، ليصبح صادق التعبيرات والانفعالات والإيحاءات . حقا .. إنها مهنة دقيقة ممتعة ، وفن جاد جميل » .

***